سورة الجن

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة الجن مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء) ومحور السورة يدور حول الجن ، وما يتعلق بهم من أمور خاصة ، بدءا من استماعهم للقرآن ، إلى دخولهم فى الإيمان ، وقد تناولت السورة بعض الأنباء العجيبة الخاصة بهم ، كاستراقهم للسمع ، ورميهم بالشهب المحرقة ، واطلاعهم على بعض الأسرار الغيبية ، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة .

* ابتدأت السورة الكريمة بالإخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن ، وتأثرهم بما فيه من روعة البيان ، حتى آمنوا به فور استماعه ، ودعوا قومهم إلى الإيمان [قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجبا . .] الآيات .

* ثم انتقلت للحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جل وعلا ، وإفرادهم له بالعبادة ، وتسفيههم لمن جعل لله ولدا [وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا. .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن استراق الجن للسمع ، وإحاطة السماء بالحرس من الملائكة ، وإرسال الشهب على الجن ، بعد بعثة رسول الله (ص) ، خاتم النبيين ، وتعجبهم من هذا الحدث الغريب [وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا. .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن انقسام الجن إلى فريقين : مؤمنين ، وكافرين ومآل كل من الفريقين [وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا] .

* ثم انتقلت للحديث عن دعوة رسول الله (ص) ، وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن [وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا] .

* ثم أمرت الرسول (ص)بأن يعلن استسلامه وخضوعه لله ، ويفرده جل وعلا بإخلاص العمل ، وأن يتبرأ من الحول والطول [قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا] . " وختمت السورة ببيان اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب ، وإحاطته بعلم جميع ما فى الكائنات [عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. .] الآيات إلى آخر السورة الكريمة .

قال الله تعالى : [قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن . .] إلى قوله [وأحصى كل شيء عددا] من آية (1) إلى آية (28) نهاية السورة الكريمة .

اللغه :

[الرشد] الحق والصواب

[جد] الجد بفتح الجيم لغة : العظمة والجلال والسلطان يقال : جد فلان فى عينى أي عظم وجل ، والجد : الحظ ، وأبو الأب

[حرسا] جمع حارس أو اسم جمع كخدم يقال : حرس وحراس ، والحارس : الحافظ للشيء يرعاه ويرقبه

[قددا] متفرقة مختلفة جمع قدة ، قال الشاعر : " إذ هم طرائق في أهوائهم قدد "

[غدقا] كثيرا واسعا

[القاسطون] الجائرون عن طريق الحق ، يقال قسط الرجل إذا جار

[صعدا] شاقا يعلو الإنسان ويغلبه فلا يطيقه ، يقال : فلان في صعد من أمره أي في مشقة

[يسلكه] يدخله

[لبدا] متراكمين بعضهم فوق بعض يقال : تلبد الشيء أي تراكم بعضه فوق بعض

[ملتحدا] ملجأ وحرزا يتحصن به الإنسان .

التفسير :

[قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن] أي قل يا محمد لقومك : إن ربى أوحى إلى أن جماعة من الجن استمعوا لتلاوة القرآن ، فآمنوا به وصدقوه وأسلموا

[فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا] أي فقالوا لقومهم حين رجعوا إليهم : إنا سمعنا قرآنا عجيبا ، مؤثرا في حسن نظمه ، وبلاغة أسلوبه ، وما حواه من بدع الحكم والعظات و[عجبا] مصدر وصف به للمبالغة ، قال المفسرون : استمعوا إلى رسول الله (ص) ، وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر ، ولم يشعر بهم ، ولا باستماعهم ، وإنما اخبر به الرسول بواسطة الوحى بدليل قوله [قل أوحى إلى] ((هذا قول ابن عباس ويدل عليه ما رواه الترمذي عن ابن عباس أنه قال : " ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم .. ")) ويؤيده ما قصه الله على نبيه فى سورة الأحقاف من خبرهم [وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين] والغرض من الإخبار عن استماع الجن ، توبيخ وتقريع قريش والعرب ، فى كونهم تباطئوا عن الإيمان ، إذ كانت الجن خيرا منهم ، وأسرع إلى الإيمان ، فإنهم من حين ما سمعوا القرآن ، تأثروا وآمنوا به ، ورجعوا إلي قومهم منذرين ، بخلاف العرب الذين نزل بلسانهم ، فإنهم كذبوا واستهزءوا ، وهم يعلمون أنه كلام معجز ، وأن محمدا أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وشتان ما بين موقف الإنس والجن ! !

[يهدى إلى الرشد فآمنا به] أي يهدي هذا القرآن إلى الحق والرشاد والصواب فصدقنا به

[ولن نشرك بربنا أحدا] أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الشرك ، ولن نجعل لله شريكا بعد اليوم من خلقه ، قال الخازن : وفي الآية دليل على أن أولئك النفر كانوا مشركين

[وأنه تعالى جد ربنا] أي تعالت عظمة ربنا وجلاله

[ما اتخذ صاحبة ولا ولدا] أي ليس له زوجة ولا ولد ، لأن الزوجة تتخذ للحاجة ، والولد للاستئناس ، والله تعالى منزه عن النقائص

[وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا] أي وأن الأحمق الجاهل فينا ، كان ينسب إلى الله ما لا يليق بجلاله وقدسيته ، ويقول قولا شططا بعيدا عن الحق وحد الاعتدال ، قال مجاهد : السفيه هو إبليس دعاهم إلى عبادة غير الله

[وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا] آي كنا نظن أن أحدا لن يكذب على الله تعالى ، لا من الإنس ولا من الجن ، في نسبة الصاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به ، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك قال الطبري : وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجن أن تكون علمت أن أحدا يجترىء على الكذب على الله ، لما سمعت القرآن ، لأنهم قبل أن يسمعوه وقبل أن يعلموا تكذيب الله للزاعمين لله الصاحبة والولد ، كانوا يحسبون أن إبليس صادق ، فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبا في ذلك فسموه سفيها

[وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن] أي كان خلائق من الإنس يستجيرون برجال من الجن

[فزادوهم رهقا] أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم ، إثما وطغيانا ، وعتوا وضلالا ، قال أبو السعود : كان الرجل إذا أمسى في واد قفر ، وخاف على نفسه قال : اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه –يريد الجن وكبيرهم –فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا : سدنا الإنس والجن ، فزاد الرجال الجن تكبرا وعتوا ، فذلك قوله [فزادوهم رهقا]

[وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا] أي وأن كفار الإنس ظنوا كما ظننتم يا معشر

الجن ، أن الله لن يبعث أحدا بعد الموت ، فقد أنكروا البعث كما أنكرتموه أنتم ((هذا هو الظاهر من سياق الآيات أنه من كلام الجن لقومهم وهو اختيار الطبري ، واختار بعض المفسرين أنه من الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله وأن المعنى : وأن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم يا معشر قريش ، فلما سمعوا القرآن اهتدوا ، فهلا اهتديتم ؟)).

[وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا] يقول الجن : وأنا طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها ، فوجدناها قد ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها ، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الاقتراب منها

[وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع] أي كنا قبل بعثة محمد نطرق السماء ، لنستمع إلى أخبارها ونلقيها إلى الكهان

[فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا] أي فمن يحاول الآن استراق السمع ، يجد شهابا ينتظره بالمرصاد ، يحرقه ويهلكه

[وأنا لا ندري أشر أريد بمن فى الأرض] اي لا نعلم نحن معشر الجن ما الله فاعل بسكان الأرض ، ولا نعلم هل امتلاء السماء بالحرس والشهب لعذاب يريد الله أن ينزله بأهل الأرض ؟

[أم أراد بهم ربهم رشدا] أي أم لخير يريده الله بهم ، بأن يبعث فيهم رسولا مرشدا يرشدهم إلى الحق ؟ وهذا من أدب الجن حيث نسبوا الخير إلى الله ، ولم ينسبوا الشر إليه فقالوا [أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] ؟ قال ابن كثير : وقد كانت الكواكب لا يرمى بها قبل ذلك ، وهذا هو الذي حملهم على تطلب السبب ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فرأوا رسول الله (ص) يقرأ . بأصحابه في الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت

من أجله السماء ، فدنوا منه حرصا على سماع القرآن ، ثم أسلموا

[وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك] أي منا قوم صالحون أبرار ، عاملون بما يرضى الجبار ، ومنا قوم ليسوا صلحاء ، قال في التسهيل : وأرادوا بقولهم [دون ذلك] أي الذين ليس صلاحهم كاملا ، أو الذين ليس لهم صلاح

[كنا طرائق قددا] أي كنا فرقا شتى ، ومذاهب مختلفة ، فمنا الصالح ومنا الطالح ، وفينا التقى والشقى

[وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا] أي علمنا وأيقنا أن الله قادر علينا ، وأننا في قبضته وسلطانه أينما كنا ، لن نعجزه بهرب ، ولن نتفلت من عقابه إذا أراد بنا سوءا ، قال القرطبي : أي علمنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله ، أننا في قبضته وسلطانه ، لن نفوته بهرب ولا غيره . . ثم عادوا إلى شكر الله تعالى على نعمة الإيمان ، واهتدائهم بسماع آيات القرآن ، فقالوا

[وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به] اي لما سمعنا القرآن العظيم ، آمنا به وبمن أنزله ، وصدقنا محمدا (ص) ، فى رسالته

[فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا] أي فمن يؤمن بالله تعالى ، فلا يخشى نقصانا من حسناته ، ولا ظلما بزيادة سيئاته ، قال ابن عباس : لا يخاف أن ينقص من حسناته ، ولا أن يزاد فى سيئاته ، لأن البخس النقصان ، والرهق العدوان

[وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون] أي وإنا بعد سماعنا القرآن ، منا من أمن ، وصدق برسالة محمد (ص) ، ومنا من جار عن الحق وكفر ، قال المفسرون : يقال قسط الرجل إذا جار ، وأقسط إذا عدل ، واسم الفاعل من الأول قاسط ، ومن الثاني مقسط ، ومنه قوله تعالى [أن الله يحب التوابين ويحب المقسطين] وأما القاسط فهو الظالم الجائر

[فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا] أي فمن اعتنق الإسلام واتبع الرسول عليه السلام ، فأولئك

الذين قصدوا الرشد ، واهتدوا إلي طريق ا لسعادة والنجاة
[وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا] أي وأما الكافرون الجائرون عن طريق الحق والإيمان ، فسيكونون وقودا لجهنم ، توقد بهم كما توقد بكفار الإنس . . وإلى هنا انتهى كلام الجن ، مما يدل على قوة إيمانهم ، وصدقهم وإخلاصهم ((هذا هو قول الجمهور ، وأن الكلام بعده من كلام الله تعالى الذي أوحاه لرسوله لا من كلام الجن ، فالله يخبر أن البشر ، لو استقاموا على شريعة الله ، لأغدق عليهم الخيرات والنعم ، ولكنهم كفروا فحرموا نعمة الله وفضله)) ثم قال تعالى مخبرا عن أهل مكة

[وأن لو استقاموا على الطريقة] أي لو آمن هؤلاء الكفار ، واستقاموا على شريعة الله
[لأسقيناهم ماء غدقا] أي لبسطنا لهم في الرزق ، ووسعنا عليهم في الدنيا ، زيادة على ما يحصل لهم في الآخرة فى توسيع الرزق ، والمراد بالطريقة : طريقة الإسلام وطاعة الله والمعنى : لو استقاموا على ذلك ، لوسع الله أرزاقهم ، فهو كقوله تعالى [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض]
[لنفتنهم فيه] أي لنختبرهم به أيشكرون أم يكفرون ؟
[ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا] أي ومن يعرض عن طاعة الله وعبادته ، يدخله ربه عذابا شديدا شاقا ، لا راحة فيه ، قال قتادة : [صعدا] عذابا لا راحة فيه .
وقال عكرمة : وهو صخرة ملساء فى جهنم ، يكلف صعودها ، فإذا انتهى إلى أعلاها ، حدر إلى جهنم
[وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] هذا من جملة الموحى به للرسول [قل أوحي إلى] والمعنى : وأوحى إلى أن المساجد وبيوت العبادة ، هي مختصة بالله فلا تعبدوا فيها غيره ،

وأخلصوا له العبادة فيها ، قال مجاهد : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا بالله فيها ، فأمر الله عز وجل نبيه والمؤمنين ، أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كلها

[وأنه لما قام عبد الله يدعوه] أى وأنه لما قام محمد (ص) يعبد ربه

[كادوا يكونون عليه لبدا] أي كاد الجن يركب بعضهم بعضا ، من شدة الازدحام ، حرصا على سماع القرآن ، قال ابن عباس : كادوا ينقضون عليه لاستماع القرآن ، وإنما وصفه تعالى بالعبودية " عبد الله " ولم يذكره باسمه زيادة في تشريفه وتكريمه عليه السلام

[قل إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا] أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار ، الذين طلبوا منك أن ترجع عن دينك : إنما أعبد ربي وحده ، ولا أشرك مع الله غيره ، بشرا ولا صنما ، قال الصاوي : سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم ، وقد عاديت الناس كلهم ، فارجع عن هذا الدين ، فنحن نجيرك وننصرك فنزلت

[قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا] أي قل يا أيها الرسول في محاجة هؤلاء : إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ، ولا أجلب لكم نفعا ، وإنما الذي يملك هذا هو الله رب العالمين

[قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا] أي قل لهم أيضا : إنه لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته ، ولن أجد لى نصيرا ولا ملجأ منه ، فكيف أجيبكم إلى ما طلبتم ؟ قال قتادة : [ملتحدا] ملجأ ونصيرا

[إلا بلاغا من الله ورسالاته] أى لا أجد ملجأ إلا إذا بلغت رسالة ربي ، ونصحتكم وأرشدتكم كما أمرني الله ، فحينئذ يجيرنى ربي من العذاب ، كقوله تعالى [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته] قال ابن كثير : أي لا يجيرني منه تعالى ويخلصني ، إلا إبلاغي الرسالة التى أوجب أداءها على

[ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا] أي ومن كفر بالله ورسوله ، ولم

يؤمن بلقاء الله ، وأعرض عن سماع الآيات وتدبر الرسالات ، فإن جزاءه جهنم لا يخرج منها أبدا ، وإنما جمع [خالدين] حملا على معنى [من] لأن لفظها مفرد ومعناها جمع

[حتى إذا رأوا ما يوعدون] أي حتى إذا رأى المشركون ما يوعدون من العذاب

[فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عدا] أي فسيعلمون حينئذ من هم أضعف ناصرا ومعينا ، وأقل نفرا وجندا ؟ هل هم ؟ أم المؤمنون الموحدون ؟ ولا شك أن الله ناصر عباده المؤمنين ، فهم الأقوى ناصرا والأكثر عددا لأن الله معهم وملائكته الأبرار

[قل إن أدري أقريب ما توعدون] أي قل لهم يا محمد : ما أدري هل هذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه

[أم يجعل له ربي أمدا] أي أم هو بعيد له مدة طويلة وأجل محدود ؟ قال المفسرون : كان (ص) كلما خوف المكذبين نار جهنم ، وحذرهم أهوال الساعة ، أظهروا الاستخفاف بقوله ، وسألوه متى هذا العذاب ؟ ومتى تقوم هذه الساعة ؟ فأمره تعالى أن يقول لهم : لا أدري وقت ذلك ، هل هو قريب أم بعيد ؟

[عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا] أي هو جل وعلا عالم بما غاب عن الأبصار ، وخفي عن الأنظار ، فلا يطلع على غيبه أحدا من خلقه

[إلا من ارتضى من رسول] أي إلا من اختاره الله وارتضاه لرسالته ونبوته ، فيظهره الله على ما يشاء من الغيب ، قال المفسرون : لا يطلع الله على غيبه أحدا إلا بعض الرسل ، فإنه يطلعهم على بعض الغيب ، ليكون معجزة لهم ، فإن الرسل مؤيدون بالمعجزات ، ومنها الإخبار عن بعض الغيبيات ، كما قال عن عيسى [وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم]

[فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا] أي فإنه تعالى يرسل من أمام الرسول ومن خلفه ، ملائكة وحرسا يحفظونه من الجن ويحرسونه في ضبط ما يلقيه تعالى إليه من علم الغيب قال الطبري : أي فإنه تعالى يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة ، يحفظونه من الجن)

[ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم] أي ليعلم الله – علم ظهور فإنه تعالى عالم بما كان وما يكون – أن رسله الكرام قد بلغوا عنه وحيه ، كما أوحاه إليهم محفوظا من الزيادة والنقصان ، قال ابن كثير : المعنى : أن الله يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من آداء رسالاته ، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ((قال المفسرون : ما جاء في القرآن من تعليل لعلم الله كقوله : {إلا لنعلم من يتبع الرسول } وقوله : {وليعلم الله الذين آمنوا ويتخد منكم شهداء} فإنما هو علم ظهور لا علم بداء ، فإنه تعالى عالم بالأشياء أزلا وإنما يظهر علمه لعباده ، فيكشف لهم المستور ، والله جل وعلا عالم بالأمور قبل حدوثها))

[وأحاط بما لديهم] أي أحاط علمه بما عند الرسل ، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم

[وأحصى كل شيء عددا] أي علم تعالى علم ضبط واستقصاء جميع الأشياء ، المنبثة في الأرضين والسموات ، من القطر ، والرمل ، وورق الأشجار ، وزبد البحار ، فلا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه أمر ، فكيف لا يحيط علما بما عند رسله من رسالاته ووحيه ، التي أمرهم بتبليغها إلى خلقه ؟ وكيف يمكن لرسله أن يفرطوا في تلك الرسالات ، أو يزيدوا أو ينقصوا ، أو يحرفوا فيها أو يغيروا ، وهو تعالى محيط بها ، محص لجميع الأشياء جليلها وحقيرها ؟ كما قال سبحانه [وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين] ، فعلمه تعالى محيط بكل ما في الكون !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 – الوصف بالمصدر للمبالغة [قرأنا عجبا] أي عجيبا فى حسن إيجازه ، وروعة إعجازه .

2 – طباق السلب [فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا] لأن الإيمان نفي للشرك .

3 – جناس الاشتقاق [نقعد منها مقاعد للسمع] لما بين اللفظتين من الاشتقاق اللطيف .

4 – الأسلوب الرفيع بنسبة الخير إلى الله ، دون الشر أدبا مع الخالق [وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] ؟ وبين لفظ " الشر " و " الرشد " طباق في المعنى .

5 – الطباق بين [الإنس . . والجن] وبين [ضرا . . ورشدا] وبين [المسلمون والقاسطون] .

6 – الاستعارة اللطيفة [كنا طرائق قددا] استعار الطرائق للمذاهب المختلفة ، وهذا من لطيف الاستعارة .

7 – توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [أحدا ، ولدا ، رصدا ، رشدا ، صدا ، عددا] إلخ وهو ما يسمى في علم البديع بالسجع المرصع ، والله أعلم .